

الحج في أحاديث الإمام الخامنئي - مد ظله العالی -

الحجّ.. هذا النبيوع الفياض بالتقوى والمعنويّة والخير والبركة، يتدفّق بعظائمه كلّ عام والى الأبد على العالم الإسلامي، وعلى كلّ مسلم موفّق لأداء هذه الفريضة المباركة، فينال كلّ فرد وكلّ جماعة من عطاءه بقدر الوسع والقابليّة. عطاء هذا النبيوع الفيّاض لا يقتصر على حجّاج بيت الله الحرام، إذ لو عرفت هذه الفريضة العظيمة وجرى العمل بها بشكل صحيح، فإن كل الافراد والشعوب في جميع أرجاء العالم سينعمون ببركاتها.

الافراد والجماعات البشرية يتعرّضون للكوارث والمصائب والآلام من جانبين. الاول: من داخل أنفسهم، ومنشأ ذلك الضعف البشري والاهواء الجامحة والشكوك وجَدب الايمان والخصال المخزّبة. والثاني: الاعداء الخارجيون. فهم النكـدُ لحياة الافراد والجماعات بسبب طغيانهم وأطماعهم وعدوانهم ووحشيتهم، وهم البلاء الداهي بسبب حروهم وظلمهم وتجبرهم وتعنتهم.

العالم الاسلامي بأفراده وشعوبه كان دائماً عرضة لهذين التهديدين، وهو اليوم مهدد أكثر من ذي قبل. فمن جانب نرى إشاعة الفساد في البلدان الاسلامية وفق خطة مدروسة وضعها الأعداء، ونرى فرض الثقافة الغربية - بمساعدة بعض الانظمة العميلة - على مظاهر الحياة بدءاً من السلوك الفردي وحتى تخطيط المدن والحياة العامّة والصحافة وغيرها، هذا من جانب، ومن جانب آخر نشاهد الضغوط العسكرية والسياسية والاقتصادية على بعض الشعوب المسلمة، والمذابح الوحشية في لبنان وفلسطين والبوسنة وكشمير وافغانستان.. وكلها شواهد بارزة على هذين التهديدين في أجوائنا الاسلامية.

الحجّ، هو تلك الهدية الإلهية، والرحمة التي لا ينضب معينها، به يستطيع المسلمون أن يتخلصوا الى الأبد من نكد العيش ومرارته، ومن مرض الانحراف ولوثته، وبمساعدة هذا الذخر الأبدي يستطيعون تحصين أنفسهم في كل زمان من هاتين الكارثتين.

ما في الحج من عناصر التقوى والذكر وحضور القلب والخشوع والتوجه الى الله سبحانه وتعالى هي كفيلة بمواجهة التهديد الاول، وما فيه من عناصر التجمّع والتوحد والإحساس بعظمة الأمة الإسلامية الكبرى وقدرتها على ساحة الحجّ هي كفيلة بمقابلة التهديد الثاني.

كلما قوي هذان الجانبان في الحج ازدادت حصانة ومقاومة الافراد والمجتمعات الاسلامية إزاء هذين التهديدين، ومتى ما ضعف او زال أحدهما أو كلاهما فإن الامة الاسلامية بافرادها وشعوبها وبلدانها تصبح أكثر عرضة للكوارث والمحن.

في نصّ القرآن الكريم، وفي نصوص الشريعة الاسلامية المقدّسة تصرّح بكلا الجانبين بحيث لا يبقى مجال للشك لكل ذي عين وقلب وإنصاف. ما فرضه



الله سبحانه في قوله: ﴿فاذكروا الله كذركم آباءكم أو أشدّ ذكراً﴾^(١) جاء إلى جانبه فريضة أخرى حيث يقول سبحانه: ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله﴾^(٢)

واتساقا مع قول الحكيم جلّت قدرته: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشّر المحسنين﴾^(٣)، نزل قول اللطيف سبحانه: ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾^(٤).

كل توصية واعلام وسعي لتضعيف واحد من هذين الجانبين أو إبعاده إنما هو مجابهة مع آيات القرآن الكريم وتعاليمه.

ليس ثمة خسارة للأمة الإسلامية أفدح من أن تتعرض تعاليم الإسلام وتوجيهاته، برصيدها الحياتي للمسلمين وجميع البشرية، لغفلة وجهل الزعماء الدينيين والسياسيين، وأن يُحال بينها وبين أن يتزوّد من عطائها الناس جميعاً. الحج جزء من هذا الرصيد الحياتي الدائم، وعلى كل المسلمين أن يتعمّقوا في معرفته ويزدادوا انتهالاً من زاده.

الهوامش :

(١) البقرة: ٢٠٠.

(٢) التوبة: ٣.

(٣) الحج: ٣٧.

(٤) الحج: ٢٨.